الجيل القادم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنه لولا التفرغ لما أراه أولى بالنسبة لما أستطيع تقديمه، لكنت وبصدق تفرغت للتعليم والتربية، وخاصة ما يتعلق بفتيان الأمة وصغارها، الذين – وللأسف – نكاد لا نرى وصولاً لطموحاتنا إلا في وقتهم...

لكن لم أستطع – لتعلقي الشديد – أن أحجم نفسي عن التفكير بما يخدم هذا الشأن، لذا أقدم هذه الأطروحة البسيطة التي ربما تلهم أحداً ما لفكرة عظيمة، وربنا كريم.

لكن قبلها، دعني أخبرك أن الأصل في تقديم الأطروحات استقصاء ما سبقها، كي نتجنب التكرار والوقوع في أخطاء غيرنا، والسعيد من اتعظ بغيره، وعادة حينما أريد البحث عن أمر – وعادة بحثي حول تطبيق ما بما يخص مجالي في الهندسة- أستقصي كل ما أستطيع حصره حول هذا التطبيق ممن سبقني، ثم أجمع ما تحصل لدي، فأحذف المكرر وأثبت المختلف، ثم أرجح بينهم ذهنياً تبعاً لأصل الفكرة، وعادة ما أصل لعدة نماذج لا أستطيع الترجيح بينها عقلاً، فألجأ للتجربة، والتي تفيدك بأيها أفضل، ثم أدخل التحسينات على النموذج من خبرتي المتواضعة..

لكنني لاحظت من بضع سنين أن هذا الامر بدأ يقتل حسّ الابداع في مخيلتي، لذلك لجأت لمنهج آخر في العمل، وهو لا يختلف كثيراً عن سابقه، إلا في أوله، فبدل أن أقوم بالبحث عمن سبقني بالموضوع، فإني وبعد فهم جوهر الفكرة التطبيقية وعلى ماذا تقوم من قوانين، أفكر في كيفية تطبيقها وكأني من سيخترعها للمرة الأولى، ثم بعدها أتابع في المنهج السابق كما هو، وكثيراً ما أصادف أن ما توصلت إليه موجود حقاً، مع بعض الاختلافات، التي تتفاوت حسناً وسوءاً....

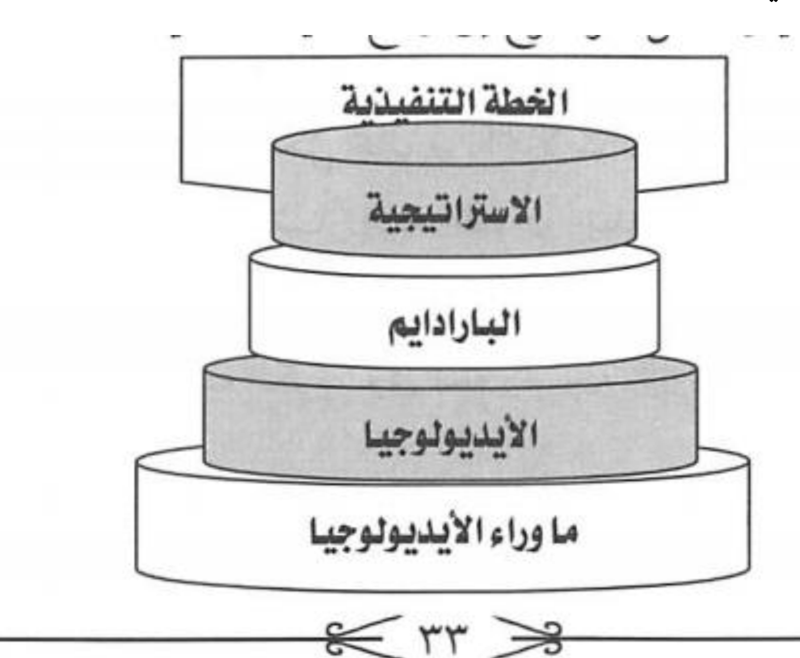
ذكرت ما ذكرت لأقول أنه في ما يلي من هذه الأطروحة ليس آتياً عن دراسة معمقة كما ذكرت في المنهج، بل هو معتمد على قراءات عامة لي في هذا المجال، وخبرة متواضعة في التدريس – حلقات مسجدية – وخبرة متواضعة في التدريب خلال فترة الثورة، فما كان خيراً فبإلهام الله، وما ساء منها فمرده لقبح عملي وظني...

ولعل أحرى ما يجب أن يُدرس في هذا المجال التجربة الفلندية في التعليم، فقد تعبوا كثيراً حتى وصلوا للمستوى الحالي ... وثمة غيرهم والباب واسع جداً، لكنه بحاجة لتبنٍّ حقيقي من أبناء أمتنا...

سأبدأ ببعض المقدمات العامة التي ستحكم الأطروحة مع شواهدها:

- **مبدأ التحدي والاستجابة:**
هو مبدأً توصل له "**أرنولد توينبي**" حول نشوء الحضارات، وخلاصته أنه ما من حضارة نشأت وازدهرت إلا بعد أن تعرضت لتحدٍ ليس بالسهل، ولن أستفيض بالشرح، ولعلك تراجعه في الويكبيديا، لكن الشاهد ههنا أنه ما من دافع أقوى للإنسان ليبذل أكثر من فكرة التحدي وحب النجاح وتحطيم العقبات، وهذا أحد مباني هذه الأطروحة
والحقيقة انه لو استرجعت في ذاكرتك سريعاً عظماء التاريخ، ستجدهم جميعاً نشؤوا في ظروف من التحدي الاجتماعي أو العائلي، حتى هو الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم، نشأ يتيم الأب والأم!! والأمثلة كثيرة...

- **المبدأ الثاني: لا مكان للحفظ في التعليم**
ينقل الدكتور **جاسم سلطان** بارك الله به في كتابه " من الصحوة إلى اليقظة " سلسلة مصطلحات تعبر عن بناء طابقي لخلفية الحضارة – أياً كانت – المعرفية إن صحَّ التعبير، وهي



الآن لو تفكرنا في هذه السلسلة، فبربك في أي منها نحتاج أناساً متخصصين في الحفظ سوا في الطابق الأول بالنسبة للنصوص المقدسة[1]، وهو شأن خاص جداً بالمسلمين جعله الله فيهم لحفظ الدين، وهو أيضاً يسير جداً، أما ما عداه فأين ذاك الموطن من سلسلة الحضارة الذي نحتاج به أناساً حفاظاً؟

ثم لو استرجعت معي في ذهنك الآن، ما هي المهنة الحياتية التي نحتاج بها لإنسان حفّيظ إلا فيما ندر؟؟؟

إن الأساس في الحضارة والمهن والعلوم هي القدرة على الفهم والمعالجة، أما حفظ المصطلحات وغيره فيأتي عادة من تكرار المهنة

لست أهلاً لأضرب الأمثال من حياتي، لكن وفي سنوات الثورة كلها، بكل مجال خضته لم أذكر يوماً أني احتجت أن أكون قد حفظت شيئاً، أو تندمت أنني نسيت شيئاً – إلا كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم – فالأمر بسيط جداً، فلو نسيت قانوناً لرجعت لغوغل أو الكتاب الذي ذُكر في هذا القانون وانتهى الأمر !!

إلا أن تكرار البحث والاطلاع هو ما يجعلك تحفظ بعض القوانين كالفاتحة وخاصة تلك التي استنتجتها بنفسك ولم تكن قد مرّت معك مثلاً أيام الدراسة " كقانون استنباط قسم الدائرة المُشَكِّل للمخروط من زاويته:

((زاوية قسم الدائرة المشكلة للمخروط = 360 * جيب نصف زاوية رأس المخروط))

وكذلك لو كان الشخص طبيباً، فيفترض بعد كثرة البحث والعمليات وما شابه يصبح حافظاً لمصطلحاته ومدركاً لها

وكم نعرف من فقهاء لا يحفظون متناً ولا شعراً به، ولا تكاد تسأله عن حكم إلا ويصدح لك به والآراء المذكورة فيه، وما هذا إلا لكثرة الاطلاع والمجالسة مع العلماء، وليس لأنه يجلس في البيت ليحفظ ويكرر الجمل، وأقصى ما يفعلونه هو حفظ أبيات في الشعر كي يثبتون الأحكام فالذاكرة قد تخون، لكن الأهم عند المفتي هو قدرته على تحليل المسألة المستفتى بها، فهو لو نسي الحكم لأتى بتحفة المحتاج مثلاً وراجعه وانتهى الموضوع، لكن هل المسألة المأتيُّ بها تُقاس حقاً على ما ورد أم غير ذلك، هذا هو دور الفقيه الحقيقي...

17 عشر سنة في المسار الأكاديمي، من الصف الأول وحتى نهاية الجامعة، نحتاج في نصفها لحشو المعلومات العفنة في أذهاننا لماذا؟ وما الجدوى؟؟؟ وأين هي الآن!!؟

أكاد أقسم أنك لو أتيت بي بعد فحص القومية في البكالوريا، بعد ساعتين من انتهائه وسألتني فيه لربما أخذت صفراً..

إذاً ما المطلوب؟ هذا ما سأحاول تقديم بعض الإجابات فيه..

[1] ما وراء الأيديولوجيا هو مجموع النصوص المرجعية سواء مقدسة أو غير مقدسة التي يحتكم إليها، وتنبثق عنها الايديولوجيا

سأقدم الأطروحة بأسلوب الحالم، أي شيئاً ربما بعيداً جداً عن الواقع بل وربما مستهجناً، وسأتخيل فيه أن شخصاً مثلاً قدم مبلغاً ضخماً جداً من المال لتنفيذ أسلوب جديد في التعليم...

تبتدئ الفكرة بتقسيم المراحل التعليمية على شقين، الشق الأول، وهي العلوم والأخلاق التي لا يستغني عنها انسان راشد في مجتمع راشد البتة، ثم التخصصي...

الشق الأول مبناه على فكرة " المغامرة والمرشد والحكيم"
والثاني على حلقات البحث والتصنيع....

- **المغامرة والمرشد والحكيم**

تقوم الفكرة ههنا ومنذ نعومة أظفار الفتيان على ادخالهم لسلسلة مغامرات فيها من الترفيه والمتعة الشيء الكثير، وفيها من التحدي الشيء الكثير أيضاً، حيث سنجعل كل علم وخلق نريد إيصاله لهم مبني على تجربة حقيقية واقعية.

أول شأن بالفكرة انه يتم أخذ مجموعة من الأطفال، عددهم قليل، 7 مثلاً، والذين يُستحسن أن يكونوا من بيئات مختلفة، ويتم إلحاقهم بشاب أو فتاة في العشرينيات من عمره، وهذا من سيسمى بالمرشد، وهو الذي سيقودهم في سلسلة المغامرات

في المغامرات سيذهبون لمناطق مختلفة ومتنوعة بحسب العلم الذي نريده، فمثلاً لو كانت الحصة حول علم الأحياء فسيذهبون للغابة، وخلال المسير والتخييم فيها سيعلمهم المرشد طوال الرحلة عن مهارات أساسية، وعن كائناتها بشجرها وحجرها وحيواناتها وحشراتها...

لكن كيف سنخلق التحدّي؟؟! هنا تأتي المتعة، لنفترض أن الدرس عن الحشرات واستخدام المكبرة لاكتشافها، هنا يتم عمل تمثيلية، أن المرشد أُصيب بلدغة من حشرة ما، لكنها مجهولة بالنسبة للأطفال فيخبرهم المشرف أنه لا يستطيع إنقاذ نفسه، وأنه يملك علاجاً لعدة لدغات ولكنه لا يستطيع تمييز الحشرة التي أصابته، وعلى الأطفال الاستعانة بالحكيم، ويقوم بإرشادهم للطريق الذي سيصلهم للحكيم، ويعطيهم الحشرة التي أصابته، والتي سيقوم بالتمثيل أنه التقطها ووضعها في أنبوبة زجاجية ويطلب منهم الذهاب بأقصى سرعة ليجلبوا له العلاج، وإن لم يأتوا به في ثلاثة أيام فقد يتعرض للوفاة...

وعندما يذهبون للحكيم -والذي يُفترض أنك تخيلت أنه الآن يجلس تلك الجلسة الآسيوية متأملاً في جبل صغير، ذو شعر طويل ومهذب- سيشرحون له القصة وحينها سيعلمهم أنواعها وما العلاج لكل حشرة وكيف يميزونها، وحيث أن هذا التمييز مستحيل بالعين المجردة فيجب أن يستخدموا المكبرة، التي سيقوم أيضاً بشرحها وشرح طريقة عملها، وبعدها يتم عرض الحشرة التي تعرض لها المشرف من قبلهم، وحينها سيميزونها كما هو يفترض، وحينها يشرح لهم الحكيم العلاج

وكيفية عمله وكيفية أخذه ليذهبوا بعدها للمشرف وينقذونه..... أظن أنهم في حياتهم كلها لن ينسوا مثل هكذا موقف ولا التفاصيل التي مرّوا بها

الأكثر إمتاعاً في هذا الأسلوب هو الروح الجماعية التي سيعيشها الفريق وأنه في مهمة حقيقية لإنقاذ شخص عزيز على قلبهم، ستقاس تصرفاتهم وأخلاقهم وسيتم إرشادهم لكيفية العمل مع بعضهم البعض، لعلهم يتعلموا وينجحوا فيما فشلنا به نحن المجتمع السوري في ثورتنا، فنحن أكثر ما جهلناه هو كيفية العمل مع بعضنا بعضاً....

إذاً على هذا الأساس تقوم هذه الفكرة ...

الأمر ليس بالهين، لكنه ببحث وتفكير معمَّق وجاد يمكننا حصر العلوم والأخلاق التي يجب تعليمهم إياها، وكذلك إيجاد المغامرة الممتعة لكل واحدة فيها.

وحيث أننا أمة محاربة ومجاهدة، فيجب تعليمهم مهارات القتال، وإذا ما أردت تحدياً فبكل بساطة يتم أخذهم لقلعة أثرية ويتم التمثيل انهم يريدون اكتشاف كنز ما إلا أنهم يتعرضون لعصابة مقاتلة، وبعد ان يخوض المرشد صراعاً مريراً مع أولئك القتلة وتتم إصابته يقوم بالانسحاب مع هؤلاء الفتيان إلى حكيم آخر يعلمهم أساسيات القتال ليساعدوه في محاولته الأخرى وقتاله الجديد...

تريد أن تعلمهم التعاون الجماعي، اخلق لهم سيناريو وتحدياً لن يستطيعوا حله إلا إن تعاونوا مع بعضهم إيجابياً

تريد في القيادة، اخلق لهم تحدياً يُبرز تفوقهم في هذا المجال... وهلم جراً..

تريد أن تعلمهم اللباقة في الكلام، اممم ، مثلاً فكر أن تتم دعوتهم لقصر ما وبعد ان يصلوا لهنا يتم رفض استقبالهم، وحين يسألون المرشد عن السبب يخبرهم عن عدم لباقتهم في الحديث وعدم أناقتهم، ويذهب معهم للحكيم في هذا الشأن ليعلمهم ما يفعلون.... وهكذا

هذه كلها مواقف حقيقية يعيشونا بشكل عملي، وترفيهي، بهكذا أساليب نعم قد تتطول فترة التعليم، لكن يمكنك أصلاً بها زيادة الساعات المخصصة

في هذه الطريقة تعزز روح التساؤل التي يتم طحنها في المدارس، فما العالم والباحث إلا طفلاً لم يفقد فضوله بعد حول ما يحيط به، فهم سيُتاح لهم أن يسألوا مرشدهم عن كل شيء، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وحين لا يعرف يذهب للحكيم بكل بساطة، وفي مرحلة ما وحيث يجب تعليمهم مهارة البحث في غوغل يتم أخذهم لحكيم لكن الكتروني، وهي شاشة كبيرة متصلة بالنت...

الأفكار كثيرة، وأعلم أن الوصول لمثل هذا الشأن والتجربة المثيرة نحتاج للكثير، لكن حالياً إن لم نرى فيها إجداءً فلعلنا نستفيد من بعض افكارها

- **حلقات البحث والتصنيع**

بعد أن تنتهي مرحلة تعلم الأساسيات وما لا يسع الإنسان جهله تبدأ المرحلة الجدية في حياته، هنا وبعد دراسة شخصياتهم بشكل مفصل يتم إرشادهم لما يناسب حالهم وشخصياتهم، وبالطبع وفقاً لرغباتهم نهايةً...

وهنا يتم العودة لأسلوب المحاضرات، لكن الاختلاف هنا أن الأمر يجب أن يقوم على شكل حلقات البحث، ستكون هناك مادة وكتاب مرجعي ومحاضر، نعم، لكن الاختلاف هو في أسلوب الفحص والتقدير، فما حاجتنا لأسلوب الفحص المعتاد؟؟

والذي أراه أن يكون الفحص على شكل رسالات الماجستير، فخلال إعطاء المادة والتي يجب أن يكون إعطاؤها بكامل الانفتاح العلمي على الأسئلة وكل ما يخطر في ذهن الطالب، وعادة ما يثير فضول الطلاب شؤوناً في المواد غير ما يثير غيرهم، وهنا واجب المحاضر أن يزيد اهتمام الطالب بتلك المسألة التي أثارت اهتمامه ويتابع معه فيها، ويطلب منه رسالة بحث حولها مع ارشاده للمراجع والأسلوب، بل ويسعى لإطلاع الطالب على المسائل العالمية التي لم تحل ومتعلقة بالشأن الذي أثار فضوله

ثم يكون التقييم في كل ذلك بطبيعة الرسالة التي سيقدمها الطالب حول المادة، فلن يهم الأستاذ أن يكون قد حفظ معلومات مادته، بقدر معالجته للمعلومات الواردة في الرسالة وكيف وصل لها واستنبطها واستنتجها....

هنا تجدر الإشارة لقضية مهمة، وهي أن الناس تتفاوت في المستويات الذهنية والرغبات حول الأمور

فبعضهم يميل للأمور التطبيقية والذين ينتهي المطاف بهم عادة في المهن كالحدادة والنجارة

وبعضهم يميل للعلوم التجريدية كالرياضيات البحتة والكيمياء البحتة

وبعضهم للجمع، كالمهندسين عموماً

فالواجب هنا تصنيف الطلاب بحسب ما يلائمهم وما يرغبون، ويتم تكييف المناهج بحسبهم

فمثلاً التجريديون يتم البحث معهم مثلاً حول كيفية استنباط قانون ما، كقانون الدائرة... وكيف تم التوصل له، ومن العالم وماذا استخدم، وهل ثمة معضلات لم تحل قريبة من ذلك

التطبيقيون يتم تعليمهم بأسلوب طلب صناعة الأشياء بحسب الحاجة، فمثلاً وحيث أننا في ثورة مسلحة، يتم الطلب منهم: نريد أن نقذف العدو بقنابل دون أن

يكتشف المدفع؟ فما هي آراؤكم؟ قد يصدر رأي مبدع... وإن لم يصدر فيمكن مثلاً القول أن من الخيارات صنع المنجنيق القديم الذي هو مدفع صامت، والهدف طبعاً ليس المنجنيق، بل بالأسلوب الذي سيعملون به والمهارات التي سيتعلمونها خلال تصنيعهم له

أما الصنف الثالث، فلو كانوا سيتعلمون المنجنيق فلن يُكتفى بتطبيقه بل وبشرح آلية عمله ومسار القذيفة وكيف تسقط وهلم جراً، ولو كنت سيارة مثلاً فسيُدخل بكل تفاصيلها، بإطارها وعجلاتها ومحركها، وكيف يعمل ومم يتكون.....

هكذا أكون قد انتهيت، وأسأل الله أن تنال استحسانكم ولعله سبحانه يلهم أحداً ما ليستفيد منها أو تلهمه لفكرة أخرى ربما هي خير منها
مرة أخرى هي ليست أفكاراً عن بحث وتقص، وإنما إبتداعية في جوهرها، لكن تستحق النظر برأيي، ويمكن أن تؤسس لبحث شامل حول تطوير النظام التعليمي وتعديله بشكل جذري، ولو تفرغت يوماً لعدت لها بإذن الله لأبحث مطولاً فيها وما يشابهها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين